

علوم سياسية

البحرين من الإمارة إلى المملكة

دراسة في التطور السياسي والديمقراطي

تأليف: أحمد منيسي

الناشر: مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، 2003. (258) صفحة

عرض: ياسمين كمال محمد*

شهد النظام السياسي في البحرين عدة تغيرات مع بداية القرن الحادي والعشرين، تمثلت أهمها في الميثاق الوطني الذي وافق عليه الشعب البحريني من خلال الاستفتاء الذي أجري في فبراير سنة 2001، ومع ما تبعه من تكوين مجلسين نيابيين؛ أحدهما بالانتخاب المباشر والثاني معين لتقديم الرأي والمشورة. وفي هذا الإطار، تأتي أهمية كتاب البحرين من الإمارة إلى المملكة؛ حيث يتعرض للتطور التاريخي والمعاصر للنظام السياسي في البحرين، كما يعقد مقارنة بين مرحلتين الاستقلال السياسي للبحرين وما قبلها. وقد قسم الكتاب إلى ستة محاور أساسية؛ ركز المحور الأول على الدراسة النظرية لمفهوم التحول الديمقراطي، بينما تناولت المحاور الخمسة الأخرى الحالة التطبيقية المتمثلة في دراسة البحرين؛ حيث تناولت تلك المحاور: الإطار التاريخي للتحول الديمقراطي في البحرين، والتحول الديمقراطي في البحرين خلال عقد التسعينيات من القرن العشرين، وعملية التحول الديمقراطي في عهد الشيخ حمد، والأبعاد التطبيقية لعملية التحول الديمقراطي، وأخيراً، القوى السياسية وآفاق عملية التحول الديمقراطي.

* باحثة في إدارة الأعمال، جامعة عين شمس، مصر.

مفهوم التحول الديمقراطي:

يرى الكاتب أن مصطلح التحول الديمقراطي قد أصبح من أكثر المصطلحات المتداولة في الأدبيات السياسية المعاصرة؛ وذلك نتيجة للتطورات المتعاقبة التي شهدتها النظام الدولي والتي أسفرت عن سقوط الاتحاد السوفيتي وانهيار المعسكر الشيوعي، الأمر الذي كان يعني في المقابل انتصار المعسكر الغربي بقيمه السياسية وأهمها الديمقراطية، والاقتصادية وأهمها الرأسمالية.

ويمكن القول، إن مفهوم التحول الديمقراطي بدلالاته اللفظية يعبر عن المرحلة الانتقالية بين نظام غير ديمقراطي ونظام ديمقراطي. فالتحول الديمقراطي لا يتعلق بالتغيير السياسي الصرف، ولا يتحقق بمجرد التصويت على قوانين أو توقيع مراسيم تقرر العمل بنظام التعددية وتسمح بانتخابات حرة، إذ إنه يحتاج إلى إعادة بناء النظام المجتمعي بأكمله.

التحول الديمقراطي في البحرين.. الخلفية التاريخية:

من خلال تعرض الكاتب للخلفية التاريخية للتحول الديمقراطي في النظام السياسي للبحرين، فإنه يرى أن الموقع الجغرافي المتميز للبحرين في قلب الخليج العربي قد جعلها مركزاً مهماً للتجارة العالمية، ومركزاً للتواصل والتفاعل بين ثقافات مختلفة، وهو الأمر الذي أدى إلى نمو الوعي السياسي مبكراً في البلاد، وكانت هناك عدة عوامل مهمة أسهمت في تنامي هذا الوعي بصورة كبيرة مع مطلع القرن العشرين، وأبرز هذا الوعي العديد من الحركات السياسية والانتفاضات المطالبة بالإصلاح السياسي في هذه المرحلة المبكرة من تاريخ البحرين.

وفي المقابل، فإنه مع مطلع القرن العشرين كان هناك عوامل أساسية أدت إلى نمو الوعي السياسي في البحرين بصورة كبيرة وهي التعليم والصناعة والنوادي الأدبية. ومن ناحية أخرى، فقد أحدثت التحولات الاقتصادية التي شهدتها دول الخليج عقب اكتشاف النفط تغييراً كبيراً في نمط الحياة الثقافية والفكرية من خلال ارتفاع معدلات التعليم وزيادة المراكز العلمية ودخول التقنيات الحديثة في مجالات الحياة المختلفة.

ومع تزايد حالة الوعي السياسي في البحرين بدايات القرن العشرين شهدت البلاد في الأعوام 1921، 1923، 1938 بدايات حركات إصلاحية قادها التجار والمعلمون للمطالبة بالإصلاح والمشاركة في الحكم.

التحول الديمقراطي في البحرين خلال عقد التسعينيات من القرن العشرين:
 لقد مثل عقد التسعينيات من القرن العشرين مرحلة جديدة في تاريخ الحركة الوطنية البحرينية، حيث حاولت الحكومة الخروج من الأزمة التي عاشتها البلاد على مدار أكثر من 15 عاماً، أي منذ انهيار تجربة المجلس الوطني المنتخب عام 1975، وذلك من خلال تأسيس مجلس للشورى سنة 1992 بديل للمجلس الوطني، وجاءت هذه المحاولة في سياق موجة الانفتاح التي شهدتها معظم النظم السياسية الخليجية بشكل عام. وإن كانت هذه الخطوة لم تكن مقنعة للقوى المعارضة، كما أن المجلس الجديد لم يستطع أن يكون بديلاً للمجلس الوطني المنحل، بسبب الصلاحيات المحدودة التي منحت له، وبسبب الاعتماد على آلية التعيين وليس الانتخاب في تشكيله الأمر الذي نجم عنه استمرار حالة التأزم بين الحكومة والقوى المعارضة التي كان مطلبها الرئيس تفعيل الدستور.

ومن ثم، فقد شهد عقد التسعينيات الأزمة بين الحكومة والمعارضة بخاصة بعد تفجر أحداث العنف، واستمرت حالة التأزم تلك تسيطر على علاقة الحكومة بالقوى المعارضة حتى رحيل الأمير السابق الشيخ عيسى بن سلمان في مارس سنة 1999 وتولي ابنه الشيخ حمد بن عيسى مقاليد الأمور، حيث بدأت البلاد تدخل مرحلة جديدة بعدما بدأت تشهد تجربة جديدة للتحول الديمقراطي، من خلال تدشين الشيخ حمد لما عُرف بالمشروع الإصلاحي.

عينة التحول الديمقراطي في عهد الشيخ حمد بن عيسى وأبعادها التطبيقية:
 مع تولي الشيخ حمد بن عيسى الحكم في البحرين بدأ النظام السياسي البحريني يشهد تغيرات كبيرة في سبيل تدشين عملية تحول ديمقراطي جديد، تمثلت نقطة البداية لها في الميثاق الوطني الذي صوتت لصالحه الأغلبية الكاسحة من الشعب البحريني في فبراير سنة 2001، وقد أحدثت هذه العملية نقلة نوعية في طبيعة التفاعلات التي حكمت العلاقة بين الدولة والمجتمع منذ انهيار تجربة المجلس الوطني سنة 1975، وهي العلاقة التي سيطر عليها الطابع الصراعى الذي اتخذ الشكل العنيف بين الحكومة والمعارضة في عقد التسعينيات، بخاصة خلال الفترة ما بين 1994 و1997.

وبعد التعديلات الدستورية التي أجريت في فبراير سنة 2002 شهدت عملية التحول الديمقراطي سلسلة من التطورات الهادفة إلى استكمال بناء المؤسسات السياسية، وتعديل بعض جوانب الإطار القانوني في ضوء الدستور المعدل. وفي

هذا الإطار فقد أجريت الانتخابات البلدية في مايو سنة 2002، وتلتها الانتخابات البرلمانية التي أجريت في أكتوبر سنة 2002. وشهدت مرحلة ما بعد الانتخابات البرلمانية تشكيل مجلس الشورى، وقد أعقب تشكيل الحكومة تعيين أعضاء مجلس الشورى.

ومن الجدير بالملاحظة، أنه فيما يتعلق بوسائل الإعلام ودورها في الانتخابات فإنها قد قدمت فرصة متساوية للدعاية، ولم يقبل كلا الجهازين إعلانات، أو أن يغطي مهرجانات انتخابية التزاماً بمبدأ تكافؤ الفرص. ومن ناحية ثانية، فقد التزمت التغطية التحريرية في الصحف بمبدأ الحيادية.

وفي النهاية، فقد سعى الكتاب من خلال فصوله الخمسة إلى الإجابة عن عدد من التساؤلات دار أهمها حول: ما التعريفات المختلفة لمفهوم التحول الديمقراطي؟ وما طبيعة الخلفية التاريخية لهذه العملية داخل البحرين؟ كما تعرض بالدراسة لعملية التحول الديمقراطي في عهد الشيخ حمد بن عيسى من خلال التعريف ببنية عملية التحول، ومؤشرات التحول، والميثاق الوطني، والتعديلات الدستورية، بالإضافة إلى الانتخابات البلدية والبرلمانية، وإن كان من الملاحظ أن تناوله للعمليات الانتخابية في البحرين قد غلب عليه الطابع الوصفي أكثر منه تحليلاً لدلالات هذه الانتخابات ونتائجها. من ناحية أخرى، فإن الكتاب قد ربط الموقع الجغرافي للبحرين بتنامي الوعي السياسي لشعبه تاريخياً، ولكنه لم يفسر سبب هذا الربط، أي أنه لم يعط المسوغات الكافية لذلك الربط.

